المجلـــة الاجتماعيـــــة القوميـــة

الرسالة.. الغاية.. الطموح

بصدور هذا العدد الذى بين أيدينا تكون المجلة الاجتماعية القومية قد أتمت عامها الستين، ستون عاما من الريادة والعطاء والسعى والمثابرة للحفاظ على هذا الكيان الراسخ فى ميدان العلوم الاجتماعية، تعاقب على تحمل مسئولياتها عبر السنوات أساتذة أجلاء بذلوا كل سعيهم فى سبيل دفعها دوما لتكون فى مقدمة وصدارة المكتبة العربية فى العلوم الاجتماعية ومضاهاة مثيلاتها فى المكتبات العالمية.

يحضرنى فى هذا المقام تساؤل أصيل عن المنهجية التى بناء عليها أسست حكمى السابق، وهنا أحيل الإجابة الى الاقتباس من العدد الأول للمجلة والصادر فى يناير من عام ١٩٦٤، حيث كتب مؤسسها الأستاذ الدكتور أحمد خليفة افتتاحية استهلها بسؤال أطلقه بغية أن تكون فى الإجابة عنه شفاء لما يعتمل فى أذهان الباحثين عن كنية هذه المجلة والهدف منها، حيث كان السؤال المطروح:

ما الفلسفة التى تحملها هذه المجلة، وما أهدافها؟

وقد جاءت الإجابة عن السؤال السابق مرتكزة على ثلاث نقاط عرضها أستاذنا الراحل فيما يلى:

الأولى: أن العلوم الاجتماعية، وقد أخذت بالأسلوب التجريبى فى وقت متأخر نسبيا عن العلوم الطبيعية، ونظرية المجتمع البشرى كما جاءت فى فكر القدماء حيث لم يكن الإنسان قد ألم بعد بطرف مذكور من أسرار الطبيعة ومن ثم كان لابد من نهضة فى العلوم الطبيعية تشحذ العقل البشرى وتفتح آفاقه حتى يكتشف مناهج جديدة فى نظرية المجتمع.

فإذا كان فلاسفة المجتمع يطمعون فى كشف معمياته وحل مشكلاته عن طريق التأمل والمنطق بغير أن يفتشوا عن الحقيقة الاجتماعية، بداية، فى تربة المجتمع وأنفاسه الحية. فإن التطور فى مناهج البحث العلمى فى المجتمع قد طرح هذا الأسلوب التجريدى، أو قرن إليه، العمل الميدانى الذى أحدث تحولًا خطيرًا فى معرفة الإنسان لنفسه وخلص هذه المعرفة من الكثير من الأفكار المسبقة والمضاربات الفكرية.

وإذا كنا نعلق على المنهج التجريبى فى دراسة المجتمع الآمال الكبيرة فإننا نود ألا ننسى أن المجتمع ليس علما محضا بل يعيش أيضًا بالإنسانيات كالدين والأخلاق والفلسفة بكل ما يلابسها من القيم والمثل والانفعالات.

وقد كانت هذه الصلة أوضح فى الماضى عندما كانت ذاتية العلوم الاجتماعية أقل وضوحًا وعندما كانت العقائد الدينية والتقاليد الأخلاقية أشد ارتباطًا بها، وعندما كانت الفلسفة هى المرجع الأم لكل أبحاثها. وإذا كان العقل البشرى يسعد بالمنهج العلمى التجريبى الذى تتبناه العلوم الاجتماعية اليوم فإنه جدير بألا يقع فى خطيئة الانفصال التام فى إدراك المجتمع إدراكًا عميقًا عن عالم الإنسانيات. إن المجتمع لم ولن يكون أبدا مادة بغير روح أو" أنبوبة اختبار" فى يد الباحثين يسلط عليها اللهب وينتظر كيف يكون التفاعل.

إن "المجلة الاجتماعية القومية" تسعى الى النهوض بالمنهج التجريبى فى دراسة المجتمع من أجل إقامة بنيان قوى من الحقائق الاجتماعية دون أن تسعى إلى "ميكنة" المجتمع وتجريده من عناصره الإنسانية.

الثانية: أن المجتمع لن ينقسم أبدا بعدد العلوم الاجتماعية، أن المجتمع واحد، وعلم المجتمع واحد. أن علم الاجتماع والأنثربولوجيا الاجتماعية وعلم النفس وعلم الاقتصاد وعلم السياسة وعلم القانون وعلم التاريخ– وغيرها– كلها فى حقيقتها قطع متكاملة فى أسطول واحد يسعى الى ضفاف الحقيقة الاجتماعية وموضوعها الإنسان فى المجتمع.

إن "كومت" هو القائل بأن الدراسة المتخصصة– حتى فى مجال العلوم الطبيعية– يجب أن تكون على صلة وثيقة مستمرة بالدراسة فى الميادين المجاورة . وإن المتخصصين الذين لا ينظرون إلى ما بعد حدودهم جديرون بأن يروا الأشياء فى نسب خاطئة ويحرمون أنفسهم من الاستبصار الذى يولد التقدم فى كل علم إذا قورن وقيس بالعلوم الأخرى. ولابد من التضافر بين العلماء وأن يتجهوا بجهودهم إلى إذابة الحدود الصناعية الفاصلة بين العلوم الاجتماعية عن طريق النظر المتبادل واستعارة المناهج وتنسيق النظريات والمشاركة فى البحث.

إن "المجلة الاجتماعية القومية" تسعى الى تحطيم الحدود التقليدية بين العلوم الاجتماعية وتبادل الاتصال بينها. هذا الاتجاه هو طريق الأمل نحو علم الاجتماع المتكامل الذى يتسع إطاره لكل المعارف التى تتناول المجتمع الإنسانى.

الثالثة: أن العلم لا يقاس إلا بمقدار أدائه لوظيفته الاجتماعية سواء كان طبيعيا أو اجتماعيا، وقد يثور الجدل فى مدى استعداد العلم الاجتماعى فى الآونة الحاضرة للقيام بما ينتظره وفى مدى كفايته كأساس للتكنولوجيا الاجتماعية. إلا أن هذا الجدل لا يخفى مع ذلك حقيقة بارزة وهى أن العلماء مواطنون أولا والمجتمع ينتظر من علم المجتمع، سواء بلغ أشده أو لم يبلغه، أن يمد يد المعونة على قدر طاقته وفى حدود إمكاناته.

إن "المجلة الاجتماعية القومية" تسعى إلى تنمية التكنولوجيا الاجتماعية بالاستعانة المنتظمة بنتائج البحث العلمى الاجتماعى فى التخطيط الاجتماعى والسياسة الاجتماعية.

تلك كانت العناصر الرئيسة التى بنيت عليها فلسفة إنشاء" المجلة الاجتماعية القومية"، والتى نخلص منها الى أنها قد بنيت على أسس منهجية تدعم البحث التجريبى دون إغفال أو إقصاء للشق الإنسانى البشرى فى الدراسات الاجتماعية، فالمجلة تحتضن كل الدراسات المعتمدة على المنهج العلمى سواء بجميع أطره وأساليبه تجريبيا كان أو غير تجريبى.

أن "المجلة الاجتماعية القومية" تؤمن بتضافر العلوم، وتسعى لتحقيق التكامل بين العلوم فى الظواهر والموضوعات الاجتماعية والإنسانية.

إن "المجلة الاجتماعية القومية" من خلال تبنيها لجهود الباحثين الجادة فى مجالات العلوم الاجتماعية المتعددة تبتغى فى مسعاها أن تكون تلك الجهود طاقة وقود تحرك آليات التخطيط العلمى الاجتماعى ووضع السياسات الاجتماعية الكفيلة بالحفاظ على المجتمع وانتقاله عبر المراحل الزمنية المتعاقبة بكل ما تحمله من تغيرات وتطورات لاسيما التكنولوجية منها، فالعلم الطبيعى أو الاجتماعى لا تتحقق جدواه إلا من خلال العائد الاجتماعى والإنسانى.

تلك كانت فلسفة المجلة ومسعاها طيلة أعوامها الستين والرؤية التى وضعها المؤسسون وسارت عليها الأجيال المتعاقبة من الباحثين، إلا أننا نجد أنفسنا الآن وبعد هذه الأعوام ينقسم بنا السؤال الذى طرح فى الماضى إلى ثلاثة أسئلة:

- هل استطاعت المجلة الاجتماعية القومية عبر سنواتها الستين أن تحافظ على تلك الفلسفة وذلك المسعى؟
- هل تتفق تلك الفلسفة والأهداف والرؤية مع تقييم المجتمع العلمى المحيط ورؤيته لما ينبغى أن تكون عليه؟
- هل مازالت تلك الفلسفة والرؤية والأهداف المنبثقة عنها قابلة للتحقيق فى واقعنا المعاصر، وهل تصلح لأن تكون رؤية المجلة ومسعاها خلال السنوات القادمة؟

بصدور هذا العدد التذكارى حرصت هيئة تحرير "المجلة الاجتماعية القومية" أن يتضمن ضمن ما يحمله من أوراق استطلاعا لآراء الباحثين فيما يخص رؤيتهم للمجلة، كما كان الحرص على أن تحمل الأوراق ثمة تكريم لبعض الأساتذة الأجلاء الذين أسهموا بأعمالهم العلمية فى خدمة البحث العلمى الاجتماعى وذلك من خلال إعادة نشر بعض الأوراق التى نشرت بالمجلد الأول والتى ارتأينا أن إعادة نشرها يحمل فائدة للعلم الاجتماعى وكذلك من خلال قيام بعض الباحثين بالمركز بإعداد دراسات هى بمثابة قراءة فى الأعمال العلمية التى قام بها الراحلون ممن تلقينا العلم على أيديهم ولهم بصمة على المكتبة العربية والعالمية للعلوم الاجتماعية، كما وأنها تضع أسسًا راسخة لبعض المجالات فى العلوم الاجتماعية، كما يتضمن العدد التذكارى أيضا جهود بعض الباحثين فى تبصير المجتمع العلمى ببعض القضايا الاجتماعية التى تناولتها المجلة الاجتماعية القومية واهتمامات المجلة المتعلقة بأحوال المجتمع والظواهر الاجتماعية التى تمر به.

وتأمل هيئة تحرير المجلة أن يكون فى ذلك خدمة للباحثين والمهتمين بالبحث فى جميع مجالات العلوم الاجتماعية.

رئيس تحرير المجلة